الأمل المنشود أطروحة الخلاص الانتقاذي في الأديان الحية

الأستاذ المساعد الدكتور
وليد عبد الحميد خلف فرج الله الأسدي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
Waleeda.khalaf@uokufa.edu.iq

The Desired Hope Thesis of Salvation in Living Religions

Assistant Professor Dr.
Waleed Abdel Hameed Khalaf Faraj Allah Al-Asadi
College of Fiqh , University of Kufa

الملخص:-

في عالم تكثر فيه المعاناة وتزداد المظالم وتتشعب الويلات وتتصاعد الآهات وتجري شلالات الدماء يكون الخلاص أملا وحاجة وهدفا... وبما أن ظروف البشرية معقدة والطواغيت هيمنوا وتجبروا، والاستبداد مستحكم وعمل الشياطين دؤوب... فالخلاص لا بد أن يكون إنقاذيا بلطف الله تعالى وفضله ورحمته وعلى يد سيد الناس وابن سيدهم الإمام الأكمل ابن الرسول الأكرم ﷺ وشبيهه... وشاء الله تعالى أن يكون الخلاص الانقاذي في نهاية التاريخ.. ويكتسب البحث في هذا الموضوع أهميته من كونه بحثا في أمل البشرية الموعود، واقتضت ضرورة البحث تقسيمه على أربعة مطالب:

أولها في مقولة نهاية التاريخ من حيث حتميته والعدالة الإلهية فيه، وثانيها: في جدلية العلاقة بين الاستخلاف الإلهي والخلاص الإنقاذي وما تضمنه ذلك في تراث الأمم والشعوب من إيمان بعقيدة الخلاص الإنقاذي وبالمنقذ المخلص، وثالثها: في تحديات الخلاص الإنقاذي وأركانه (المُخَلِّص، والمُخَلَّص به، والمُخَلَّص)، ورابعها: في مراحل الخلاص الإنقاذي (مرحلة الانتظار، ومرحلة التمهيد، ومرحلة الظهور).

الكلمات المفتاحية: الأمل المنشود، الخلاص الانقاذي، الأديان الحية، الاستخلاف الإلهي، أطروحة الخلاص الإنقاذي، المهدي المنتظر.

Abstract:-

In a world where suffering abounds, grievances increase, calamities multiply, groans rise and bloodfalls flow, salvation is hope, need, and goal... Since human conditions are complicated and tyrants dominate and are forced, tyranny is persistent and the work of demons is tireless... Salvation must be rescued by God's kindness, grace, and mercy At the hands of the people's master and the son of their master, the Imam Al-Akamal, the son of the Holy Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) and his analogues... God Almighty will have salvation at the end of history... The research on this topic will gain its importance from being a research in the promised hope of humanity, and necessity necessitated The research divided it into four demands: The first is in the argument of the end of history in terms of its inevitability and divine justice in it, and the second: in the dialectic of the relationship between divine devotion and salvation salvation and the implication of this in the heritage of nations and peoples of faith in the doctrine of salvation and the savior, and third: in the challenges of salvation and salvation (salvation, salvation, salvation) And the Savior), and the fourth: in the stages of salvation salvation (the waiting stage, the prelude stage, and the appearance stage)

Key words: desired hope, salvation salvation, living religions, divine substitution, salvation salvation thesis, the expected Mahdi.

المطلب الأول

مقولة نهاية التاريخ

إن فكرة نهاية التاريخ تعني معرفة مسار التاريخ ووضع غاية له[١]، ورحلة الإنسان التاريخية بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب، وقد حظيت مسيرة التاريخ البشري برعاية الله تعالى وعنايته لتوجيهها توجيها إيجابيا بتتابع بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام لهداية الناس وإصلاح أحوالهم ومسيرتهم عبر الزمن[٢].

وفكرة " نهاية التاريخ " جزء من المنظومة الفكرية الدينية للتاريخ التي كانت تعتمد بشكل أساس على تعاليم الكتب السماوية، بما فيها التأكيد على أن العناية الإلهية محيطة بمسيرة التاريخ الإنساني، وليتحقق خلاص البشر من المحن والخطوب والشرور في نهاية التاريخ [٣]، فيعم السلام والعدالة والرفاه والأمن والأمان والسعادة والخير العميم.

وترتبط بمقولة نهاية التاريخ حقيقتان واقعتان لا محالة، هما: " حتمية نهاية التاريخ " و " العدالة الإلهية في نهاية التاريخ ".

أولاً: حتمية نهاية التاريخ:

لابد من نهاية للتاريخ.. إنها حقيقة حتمية أعلنها الوحي الإلهي منذ أن وجد الإنسان الأول على هذه الأرض.. الإنسان الذي كان نبيا لا متوحشا.. الإنسان الذي خرج من الجنة حيث الكمالات، لا الإنسان الذي خرج من وحشية الغابة حيث الهمجية كما يدعي البعض.. الإنسان الذي كلّف بمهمة الاستخلاف الإلهي في هذه الأرض ليمارس دوره الإيجابي في التحرر من الآثام والخطايا والمظالم وليرتقي في مدارج الإيمان وليبلغ كماله المنشود حيث السعادة الدائمة... ونهاية التاريخ لا تعني فناء الجنس البشري بل تعني نهاية المعاناة الطويلة والمستمرة منذ آلاف السنين والتي تفنن الإنسان بأنانيته وعصيانه وتمرده في إيجادها وديمومتها واستمرارها بكل أصناف العذاب وأنواع المأساة، ولا تتحقق النهاية السعيدة إلا بخلاص الإنسانية من عذاباتها وآلامها ومحنها وخطوبها، ولكن بحركية الإنسان المسدد من الله تعالى.

لقد اتفقت جميع الأديان التي عرفها الإنسان على أن الذي خلق الحياة على الأرض

سوف ينهي هذه الحياة في يوم من الأيام، كما أكدت تلك الأديان على علامة معينة سوف يكون ظهورها نذيرا بنهاية العالم، وسوف تصاحب هذه النهاية نزول منقذ بواسطة القدرة الإلهية لإنقاذ الأخيار بعد أن يصيب الأرض الدمار ويحل فيها الفساد [٤]، ولكن شاءت حكمة الله تعالى أن تكون نهاية التاريخ نهاية سعيدة تتحرر فيها البشرية من الظلم والاستبداد والقهر والمعاناة، عندما يأتي المخلص الإلهي فيمسح الدموع ويزيل الآلام ويرفع الاضطهاد من الأرض ويحقق السعادة المفقودة عندئذ يحصل الخلاص الإنقاذي المأمول.

ثانياً ـ العدالة الإلهية في نهاية التاريخ:

إن نهاية التاريخ لن تكون إلا بتحقق العدالة الإلهية (يملؤها قسطا وعدلا) بعد مسيرة البشرية في مظالمها التي تجاوزت كل الحدود (بعدما ملئت ظلما وجورا) لا كما يقول الباحث الأمريكي (الياباني الأصل) " فرانسيس فوكوياما " في نظريته الموسومة " نهاية التاريخ " بادعائه أن الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت، وانتصر الغرب معها إلى الأبد، فلا جديد ممكن أن يُقدّم للعالم، وعليه فقد انتهى التاريخ، ودعواه هذه يفندها واقع البشرية اليوم الذي تحكمه الليبرالية، حيث امتلأ عالمنا اليوم حروبا وظلما وبؤسا وعذابا ومأساة وقتلا وتعذيبا وتشريدا وفقرا وجهلا وتجويعا وتنكيلا.. ولم تستطع الأسرة الدولية المعاصرة بهيئاتها ومنظماتها ومؤسساتها ودولها وبكل شعاراتها ومواثيقها ولوائحها ورؤاها ومعارفها وأفكارها أن تضع حدا لتلك المظالم الفظيعة، بل تفنن المتسلطون والعتاة والمتنفذون في صناعة الموت والعذاب والجريمة، وإن اختفوا وراء الأقنعة البراقة، حتى مات الضمير الإنساني عالميا [٥].

وسنة الله تعالى في خلقه إذا مات الضمير الإنساني عالميا هلكت الأمم بسوء فعالها وسقطت أنظمتها الدولية وتهاوت مؤسساتها الظالمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا، ولتظهر سنة " الابدال " و " التوريث " بظهور المخلص المنقذ الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) [٦].

المطلب الثاني

جدلية العلاقة بين الاستخلاف الإلهي والخلاص الانقاذي:

شاء الله تعالى أن يستخلف الإنسان في الأرض وأن يهديه النجدين ويترك له حرية

الاختيار ليكون مسؤولا عن أفعاله وأقواله وحركيته في هذه الحياة، وأن يهديه ويلطف به ويوفقه، ويخلصه مما يؤذيه مع وجوب تحرك الإنسان نحو كماله المنشود.

والأمر المؤكد أن الله تعالى بشّر الإنسان الأول عندما وطئت قدماه الأرض مستخلفا فيها أن الخلاص الإنقاذي قادم وواقع في مستقبل الأيام بعد معاناة طويلة، وأن "الاستخلاف الإلهي" في نهايته "الخلاص الإنقاذي"، بل أن الاعتقاد بمجيء المصلح العالمي قضية فطرية غرسها الله تعالى في فطرة كل إنسان[٧]، ولذا فالإيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في الأرض كلها من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان، حيث بشّر كل دين منها بمجيء هذا المصلح الإلهي في المستقبل أو في آخر الزمان ليصلح العالم وينهي الظلم والشر ويحقق السعادة المنشودة للمجتمع البشري، وهذا هو الخلاص الإنقاذي [٨].

ومن هنا رسخت في تراث الأمم والشعوب "عقيدة الخلاص الإنقاذي"، و "شخصية المخلص المنقذ"

أولاً: عقيدة الخلاص الإنقاذي في تراث الأمم والشعوب:

واستمر الإيمان بـ"الخلاص الإنقاذي" والإيمان بـ"قائم القيامة أو المهدي المنتظر" عقيدة راسخة في الحضارات القديمة وفي جميع الديانات والمذاهب [٩]، ففي التراث القديم لبلاد وادي الرافدين في سومر وبابل وأكد وآشور وغيرها، وبلاد وادي النيل، وبلاد فارس، والهند، والصين، وبلاد اليونان، وبلاد الرومان وغيرها من بلدان العالم القديم نجد أن واقع الحياة مليء بالآلام والأحزان والدماء والمعاناة والمظالم والجور والقهر والحرمان والعذاب والاضطهاد، والتناقضات والصراع بين الأضداد: (الحرب والسلم، الخير والشر، الظلم والعدالة).. وفي خضم كل ذلك نجد في تراث تلك الأمم أنها تؤمن جميعا بنهاية حتمية لهذا العالم ترتبط بتحقق الخلاص في آخر الزمان بظهور المخلص الآتي من السماء[١٠]، الذي يقضي على المظالم بجميع أنواعها ويحقق العدالة بجميع أبعادها والسعادة بكل أصنافها.

وفي الديانة المصرية القديمة فكرة المنقذ واضحة المعالم بيّنة المميزات[١١]، فقد تضمنت كتابات حكماء مصر القدماء الإيمان بظهور شخصية قدسية على الأرض تعيد إلى الأرض

السلام وتقر العدالة بعد أن ملأت الأرض جورا وفسادا وظلما [١٢]، ويرى بعض الباحثين أن من الأسباب المهمة لاعتناق المصريين الديانة المصرية القديمة وجود عقيدة المنقذ المنتظر وعودته إلى الأرض لأنها عقيدة راسخة في أذهانهم وعواطفهم [١٣].

وكانت بلاد وادي الرافدين البيئة التي تبلور فيها الفكر الإنقاذي والخلاص، وهي الأرض التي قامت فيها أوائل الشرائع وتبلورت فكرة الدولة واكتشفت الكتابة، وارتسمت الملامح الأولى لفكرة الخلاص الإنقاذي في أدبيات بلاد وادي الرافدين، ونجد الاعتقاد في المخلص المنقذ المنتظر الذي يبعثه الله تعالى في زمن معلوم لفترة معينة أو في آخر الزمان ليعيد السلام ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا في أمم مختلفة كالمصريين، وعند قدماء البابليين والفرس واليونان [١٤].

وفي الديانة الهندوسية فإن هذا العالم ليس مخلدا، فسيجيء يوم ينهار فيه كله بسبب النار والفيضان، وعندئذ سوف يتدخل " فشنو " ليحول دون احتراق العالم وغرقه، وبدلا من أن ينتهي العالم إلى الفناء فإنه سينتقل إلى عصره الذهبي [١٥]، فسوف يأتي " فشنو " في نهاية هذا العصر المظلم على شكل رجل يمتطي حصانا أبيض وفي يده سيف يلمع ليحاكم الخطاة ويكافئ المحسنين ويعيد إلى الذهب قيمته التي ضاعت [١٦].

وفي الديانة البوذية أن " بوذا " هو المنقذ المخلص ليرشد العالم إلى طريق الحق بعد مرور أحقاب طويلة من الدهر [١٧].

وفي الديانة اليهودية بشارات بالمنقذ المنتظر في آخر الزمان، منها بشارة إشعياء الثاني بمجيء " عبد الله " الذي ينشر العدالة بين البشر وينقذ العالم من طغيان الطغاة، وعلى يد "عبد الله" تسود العدالة الإلهية العالم[١٨].

ثانياً ـ المنقذ المخلص في تراث الأمم والشعوب:

أجمعت الأديان جميعها على أن للمنقذ صفات خاصة خارقة[١٩] لم تتوفر في غيره من بني البشر لخصوصياته الخاصة، فولادته في ظروف صعبة، وتعرضت حياته لمخاطر كثيرة، وله علامات لا تتوفر لدى البشر الآخرين، وهو من سلالة الملوك والأمراء، فالمنقذ المخلص صاحب القدرات الخارقة في ولادته وفي حياته أيضا، ويوصف أيضا بأنه " الرجل العالم "، وهو الرجل المنحدر من أفضل السلالات وأشرفها، يفتح بوابة الأبدية ويحقق العدالة، يجدد

الدين ويصلح العقيدة، ويخلص البشرية من الكبت والحرمان ومن جور الحكام الذين يسعون في الأرض فسادا، ويعيد إلى الأرض السلام ويقر العدالة فكرا وقولا وسلوكا، كما ملئت الأرض جورا وفسادا وظلما، فهو يحيي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى، وينقاد له الملوك وتتيسر له الأمور وينصر الدين الحق ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن(٢٠).

وللمنقذ المخلص في التراث الديني لديانات الأمم والشعوب القديمة أسماء عدة، وله علامات وآيات خارقة لظهوره وكرامات ومعجزات، وفي الملاحم الشهيرة في تاريخ البشرية كملحمة جلجامش أن المخلص سوف ينقذ الأخيار من البشر بعد أن يحل الدمار ويصيب الفناء العالم... ويمكن القول أن ذلك من هدي الرسل والأنبياء عليهم السلام الذين بشروا بالخلاص الإنقاذي في بلاد وادي الرافدين وفي العالم القديم حيث كانوا ودعوا الناس إلى دين الله تعالى مؤيدين ومسددين بالوحي الإلهي (٢١).

وغالت الديانات القديمة في شخصية المخلص المنقذ لتجعله " إبن الإله " كما في الديانة الميثرائية القديمة وفي المسيحية الحالية.

وفي الديانات السماوية فإن الخلاص فعل الله تعالى، فهو تعالى يخلص جميع البشر المكلفين بالتهيؤ والاستعداد والسعي للخلاص والمؤمنين به، وفعله خير محض لإصلاح الإنسانية، ولتحقيق ذلك يرسل إلى الناس منقذا مؤهلا في آخر الزمان كما أرسل رسلا وبعث أنبياء من قبل، فيمكنه الله في الأرض وينصره (٢٢)، وفي ظله تزدهر الحياة ويكثر الرزق وتخصب الأرض وتينع الثمار وتكثر الخيرات وتنعم وترتع البهائم، وأن دولته تقوم على العدالة والحق، ولكن على الناس جميعا الإيمان بالخلاص والعمل الجاد على تحقيقه والتضحية بكل شيء من أجل إنجازه، وبذلك تتحقق نهاية التاريخ المسماة في اليهودية " مملكة الله "، وفي المسيحية " يوم ابن الإنسان " وفي الإسلام " دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه).

وحركية المنقذ المخلص مشروع إلهي مفعم بالأمل والخير والإطمئنان، وهو لطف من الله تعالى بعباده ينقذ به البشرية من الشرور والآلام والمظالم والمعاناة بإمداد غيبي وإسناد إلهي، ترد فيه مظالم الأفراد والشعوب والأمم، وتعاد الحقوق المسلوبة إلى أصحابها بمجيء

المنقذ والمخلص الذي اصطفاه الله تعالى لإنقاذ البشرية وليملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا [٢٣]، علما أن معنى تمتلئ الأرض ظلما وجورا طغيان سلطان الباطل على الحق في الصراع القائم بينها كما هو واقع البشرية اليوم، لا القضاء على دين الله تعالى، فقد جاء في سفر المزامير ما نصه: (اثْبُتْ فِي حَضرَةِ اللهَ، وَانتَظِرْهُ بِصَبرٍ، وَلا تَقلَقْ إذا نَجَحَتْ خُطَطُ ذَوِي المَكائِدِ الشِّرِّيرَةِ، لا تَنزَعِجْ وَلا تَغْضَبْ، وَلا تَغْتَظْ فَتَنْدَفِعَ إِلَى الشَّرِّ، لِأَنَّ الأَشْرارَ سَيَهلِكُونَ، أَمّا الَّذِينَ يَنتَظِرُونَ اللهَ، فَسَيَمْتَلِكُونَ الأَرْضَ)[٢٤].

المطلب الثالث

تحديات الخلاص الإنقاذي وأركانه

لما كان " الخلاص الإنقاذي " المشروع الإلهي لإصلاح البشرية بعد استفحال الشرور والمظالم وتعاظم المحن والخطوب وسيادة المتجبرين الظالمين فلا بد من تحديات جسام تواجهه، ومن جهة أخرى لا بد من أركان يتقوم بها:

أولاً: تحديات الخلاص الإنقاذي:

لما كان الخلاص الإلهي إنقاذيا للبشرية من هيمنة المستبدين وسيطرة الظالمين وسطوة المتكبرين، فمن المؤكد أن يشكل عتاة الأرض وطغاتها المستكبرين وأئمة الكفر جبهة معادية لمشروع الخلاص الانقاذي، وهي جبهة تملك الكثير من أسباب القوة من المال والسلطة والجيوش والإعلام والعلاقات والنظم والأجهزة الخفية والسرية، كيف لا وهي الجبهة المسيطرة على النظام العالمي بجميع معادلاته وموازناته السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والفكرية والإعلامية، وتحتفظ هذه الجبهة بمراكز القوة والمواقع الاستراتيجية لها في مختلف مناطق الأرض، وبالهيمنة المطلقة على الأسرة الدولية بجميع منظماتها ومؤسساتها[٢٥].

وبكل تأكيد فإن هذه القوى سواء كانت علنية أم خفية تعمل على إنتاج أخطر الشرور التي تسبق الخلاص الانقاذي، ومنها:

١- صناعة الدجل وتزييف حقائق الدين وطمس معالم الحق وشرعنة الباطل.

٢- صناعة الفكر المنحرف والفرق الضالة التي تدعي أنها فرق مهدوية.

٣- إعداد وتدريب مدعي المهدوية زورا وبهتانا والمشعوذين للتمويه على الناس

وتجهيلهم وتضليلهم باستخدام الوسائل المؤثرة كالمال والإعلام والشعوذة والتجهيل والغرائز والمخدرات.

٤- التشكيك بأصول الدين وإثارة الشبهات حول الإسلام الحنيف عقيدة وشريعة ونظما وسلوكا.

٥- الترويج لتشويه الإسلام المحمدي الأصيل، وإبداله بما يسمونه بـ " الإسلام المدني " الذي يتبنى مفاهيم الثقافة الغربية وقيمها وفلسفتها ونظمها بما في ذلك شرعنة المثلية والشذوذ والانحراف ونحوها بذريعة الحرية الشخصية.

٦- صناعة الموت والكراهية والذبح والتكفير والحقد الأعمى.

٧- العمل على تقاتل المسلمين فيما بينهم، والإسراف في سفك الدماء وانتهاك الأعراض والحرمات.

٨- وقد اختزلت الأحاديث الشريفة تحديات الخلاص الإنقاذي بالنص المتواتر (تمتلئ ظلما وجورا).

ثانياً: أركان الخلاص الإنقاذي:

مهما كانت التضحيات والآلام والمعاناة، ومهما كانت تحديات الخلاص الإنقاذي آت لا محالة، قال رسول الله ﷺ: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ يَوم لَبَعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً)[٢٦]، وسوف يتحقق الخلاص الإنقاذي بوجود أركانه الثلاثة:

١. المُخَلِّص: وهو الفرد الأكمل (أفضل الناس، أعلم الناس، أحكم الناس، أتقى الناس، أحلم الناس، أسخى الناس، أعبد الناس، أقرب الناس إلى الله عز وجل) المؤهل بمؤهلات فريدة وكاملة اصطفاه الله تعالى وأعدّه إعدادا خاصا لإنجاز هذه المهمة التي مهد لها جميع الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم منذ آدم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ولا بد أن يكون المخلص وارثهم جميعا ولديه تراثهم، بل لا بد أن يكون من صلب سيد الرسل وشبيهه (خلقا وخلقا ومنطقا) بل وسميّه أيضا [٢٧]، قال رسول الله ﷺ: (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت

جورا فذلك هو المهدي) [٢٨]، وهو ابن الوصيين (إبن أمير المؤمنين والأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الأب)، (وابن بطرس سمعان " شمعون الصفا " وصي المسيح عليه السلام من جهة الأم) [٢٩].

الأجدر للإدارة السياسية وقيادة المجتمع، وهو الأقدر على تغيير الواقع وإحداث نقلة نوعية فيه من الشر إلى الخير، ومن الضنك إلى الرفاه، ومن الذل إلى العز.

والإمام المهدي المنتظر عليه السلام يظهره الله تعالى لإنقاذ البشرية وهداية الناس مختارا بالعناية الإلهية ومسددا من الله تعالى مباشرة ومؤيدا بالمعجزات والكرامات، وقد بشّر به الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، ويسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته قولا وفعلا، وهدي أمير المؤمنين والأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام رحمة للعالمين ونعمة [٣٠].

والحقيقة: أن الخلاص الإنقاذي لا يمكن أن يكون إلا على يد من توافرت فيه تلك الصفات والمؤهلات وهو الإمام القائم المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) دون سواه.

٢ـ المُخَلِّص به: دين الله تعالى كما أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام وهو المنهج الصحيح القويم الأقوم من وضع الله تعالى لا من وضع الإنسان، وبه يتحقق الإصلاح الديني والاجتماعي والفكري والسياسي والاقتصادي، وأن محور الخلاص الإنقاذي " التوحيد " و " العدل "، فيطهر الإمام المهدي عليه السلام الأرض كلها من " الشرك " و " الظلم "... وأن الدين الإلهي " عقيدة، وشريعة، وسلوك ".. عقيدة صحيحة: جلية لا غموض فيها ولا وهن ولا خرافة ولا اضطراب، ثابتة يقينية لا تزلزل فيها ولا ريب، والعقيدة معرفة، ولابد في المعرفة من الدليل، والعقيدة بعد استكمالها إيمان، ولابد بد في الإيمان من الرسوخ، والعقيدة تثمر عملا، ولابد في العمل من الإخلاص...والدين شريعة إلهية تنظم جميع علاقات الإنسان، وفيه تشخص الحقوق والواجبات والمسؤوليات، فتتحقق طمأنينة الفرد وسعادته وتلبية حاجاته ومتطلباته العقلية والروحية والجسدية، ويتحقق البناء الاجتماعي واستقرار المجتمع، ورفاهية الشعوب وسعادة الأمم... وفي الدين الإلهي تهذيب السلوك وتزكية النفوس لإيجاد الإنسان المؤمن الصالح الذي يحقق الأمل الإنساني المنشود، كل ذلك ينعكس ذلك على الفرد والمجتمع المتدين فيصوغهما وفق هدي الدين

الإلهي في عصر ظهور الإمام عليه السلام.

ومن ذلك نفهم أن في عصر ما بعد الظهور سوف يعيش الناس في خير ونعمة ورفاه اقتصادي فلا فقر ولا حاجة ولا حرمان، وتزداد النعم وتنزل البركات وتشفى المرضى وتشبع الحاجات، ويحل الأمن، ويعم السلام، كل هذا وغيره بعد مقدمات كاستئصال شأفة الكفر الذي هو سبب مباشر وغير مباشر للظلم، وتمحض الناس لعبودية الله تعالى واكتساب الكمالات المعنوية [٣١].

٣- المُخَلِّص: وهو النوع الإنساني أي أن البشرية بجميع أممها وشعوبها سوف تتنعم بالخلاص الإنقاذي عندما ينقذها الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من المعاناة والويلات والشرور، وتخضع جميع دول العالم لسلطته المباركة لتتشكل منها جميعا دولته العالمية[٣٢].

ولابد من تهيئة البشرية جميعا للخلاص تربويا ونفسيا واجتماعيا وفكريا وحركية وغيرها، ولا بد من استعداد الناس لتقبل العدالة بشموليتها ومستلزماتها، ولا بد من تنمية الفهم والبصيرة عند الناس ليكونوا من أنصار الإمام المهدي عليه السلام ومريديه فيقيموا الحق عن وعي وعقيدة.

وهذا الأمر يتطلب تثقيف الأمم والشعوب بثقافة " الوراثة " و " الانتظار "، أي وراثة الأنبياء والصالحين وانتظار وعد الله تعالى بالفرج وإمامة الصالحين، وأن انتظار " المخلص المنقذ " يبعث على الأمل الذي يمكّن الإنسان من اختراق معاناة الحاضر ورؤية المستقبل الواعد فتتبدد ظلمات اليأس التي تكتنف حياة الإنسان في عالمنا المعاصر الذي تسوده الويلات، ولكن هذا يتطلب من الإنسان الصمود ومقاومة الانهيار والسقوط حتى وصول المدد الإلهي بالخلاص الانقاذي، فلا بد للإنسان المعاصر من توعية بحركية تمكنه من تحقيق الخلاص والنجاة، وهذا ما يسمى بـ " الانتظار الحركي " [٣٣].

ولا بد من العمل بجميع الوسائل الممكنة والآليات المتاحة في عصرنا لترسيخ الإيمان بـ "وراثة الصالحين" للأرض، وبـ " إمامة المستضعفين المؤمنين "، و بـأن " العاقبة للمتقين " في نفوس بني البشر جميعا في أرجاء المعمورة، والتي نص عليها القرآن الكريم، بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٣٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣٦].

المطلب الرابع

مراحل الخلاص الإنقاذي

ولتهيئة النوع الإنساني للخلاص لا بد أن تمر البشرية في ثلاث مراحل تاريخية في كل واحدة منها جيل نوعي من البشر المؤمنين المخلصين:

المرحلة الأولى ـ مرحلة الانتظار: وهي مرحلة غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) والتي نعيشها نحن، وهي أطول المراحل التاريخية، وعلى المجتمع البشري عموما والمؤمنين خصوصا مسؤولية عظمى يمكن إيجازها بما يأتي[٣٧]:

١- معرفة الخلاص الإنقاذي كما بينه أنبياء الله ورسله، والإيمان بالمنقذ الإلهي الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) كما ورد عن رسول الله والأئمة الطيبين الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهذا يتطلب من الجميع علماء ومتعلمين وغيرهم دراسة وبحثا وتحقيقا وتثقيفا [٣٨].

٢- التثقيف بثقافة الانتظار وفق المنهج الذي رسمه أئمة أهل البيت عليهم السلام بترسيخ الإيمان، وتوحيد الله وطاعته، وتزكية النفس وتهذيبها، وتنمية الذات وتربية الفرد والمجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى ورفع المظالم ودفعها، والصبر والإخلاص والتقوى والطاعة، وتحمل مسؤولية الانتظار[٣٩]، يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (مَنْ سُرَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ فَلْيَنْتَظِرْ، وَ لْيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَ هُوَ مُنْتَظِرٌ، فَإِنْ مَاتَ وَ قَامَ الْقَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَدْرَكَهُ، فَجِدُّوا وَ انْتَظِرُوا، هَنِيئاً لَكُمْ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ)[٤٠].

٣- مساهمة الإنسان الواعية في الخلاص الإنقاذي بشعوره أنه مكلف بالإلتزام والتمسك بالكتاب الكريم والسنة الشريفة وهدي أئمة أهل البيت عليهم السلام والدعوة إلى الله تعالى

لإحداث التغيير الإيجابي في الفرد والمجتمع والعالم، وإعداد جيل مؤمن واع[٤١].

٤- التصدي للأفكار المنحرفة والفلسفات الإلحادية والحركات المشبوهة ووسائل الحرب الناعمة التي تستهدف الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، والمسلمين بلدانا وشعوبا وقيما وثقافة وحضارة.

٥- مواجهة صناعة الانحراف واستغلال موضوع المهدوية من قبل المؤسسات المشبوهة لهدم الإيمان بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام بتوظيف الأعداء وتسخير الأدعياء الكذبة والإيقاع بالشباب وتضليلهم.

٦- رصد الرؤى والأفكار والأحداث والوقائع العالمية والإقليمية وتحليلها ونقدها وتمحيصها وفق ضوابط الوحي الإلهي للحكم عليها في مشروع الخلاص الإنقاذي[٤٢].

المرحلة الثانية ـ مرحلة التمهيد: وهي مرحلة الجيل الذين يمهدون لظهور الامام عليه السلام، ويعدون المجتمع البشري لظهور الإمام المنقذ عليه السلام، وهو الجيل السابق للظهور المقدس، وهذا جيل الثبات على الحق، يتميزون بالصلابة والقوة في مواجهة الطغاة والعتاة وأئمة الكفر والضلال، يتحدون الباطل وأهله مهما قويت شوكة الباطل ومهما كانت ردود فعل المبطلين وغضبهم وسخطهم وبطشهم وتنكيلهم ودسائسهم ومغرياتهم.

وقد تربى هذا الجيل تربية إيمانية خالصة بالتمسك بالكتاب الكريم والسنة الشريفة وفق منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى أصبح حاملا رسالة الدعوة إلى الله في وسط المجتمع البشري والدعوة إلى عبودية الله تعالى وحده والسعي إلى إقامة الحق في العالم كل العالم، ومن صفات شباب هذا الجيل: البصيرة واليقين والإقبال على الله تعالى والشجاعة والجرأة والذوبان في ذات الله تعالى [٤٣].

المرحلة الثالثة ـ مرحلة الظهور: وهي مرحلة الجيل الذين ينهض بهم الامام عليه السلام لإنقاذ البشرية، وهؤلاء يتميزون بمزايا عظيمة وقيم جليلة، حتى وصفهم النبي والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) بأنهم كنوز بشرية عرفوا الله حق معرفته، رهبان في الليل (العبادة والتهجد في الليل)، ليوث في النهار (الشجاعة والجرأة في النهار)[٤٤].

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وصف أنصار الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بقوله: (رجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها.. كأن على خيولهم العقبان يتمسحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به، يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد.. رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح.. كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق) (٤٥).

كما تفردوا بالوعي والبصيرة والقوة الهائلة (قوة عزم وإرادة، وقوة يقين) وباليقين الخالص من دون شائبة من الشك والريب، وبالإقبال على الله والشجاعة والجرأة والذوبان في ذات الله، والعزم النافذ بلا تردد ولا تراجع، والإعراض عن الدنيا والتعلق بحب الله سبحانه والهيام به، والخشوع والعبودية له، والتذلل للمؤمنين، والصرامة والقوة مع الكافرين، فلا ينفذ إلى نفوسهم ووعيهم الشك والريب مهما تكاثفت ظلماتها، ومهما تعاقبت الفتن، لذلك لا يدخلهم الشك ولا يترددون ولا يتراجعون (٤٦)، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لنكون منهم، وبذلك يتحقق الخلاص الإنقاذي المأمول.

خاتمة البحث (النتائج والتوصيات)

نستنتج من مطالب البحث أهمية " الخلاص الانقاذي " للبشرية جميعا في عالمنا المعاصر لأنه أملها وطموحها وغايتها وإن اختلف الناس في التعبير عنه كل حسب لغته وثقافته وفكره، وتوصل البحث إلى نتائج وتوصيات، وكما يأتي:

١- لابد من نهاية حتمية للتاريخ بنهاية معاناة الإنسان الطويلة والمستمرة منذ أن وجد على هذه الأرض وذلك بحتمية خلاص الإنسانية من عذاباتها وآلامها ومحنها وخطوبها بحركية الإنسان المسدد من الله تعالى.

٢- إن المنقذ المخلص هو الإمام الأكمل الذي اصطفاه الله تعالى من سلالة النبوة وأعدّه إعدادا خاصا لإنجاز هذه المهمة التي مهد لها جميع الأنبياء والمرسلين

وأوصيائهم منذ آدم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

٣- حركية الإمام المهدي عليه السلام مشروع إلهي مفعم بالأمل والخير والإطمئنان، وهو لطف من الله تعالى بعباده ينقذ به البشرية من الشرور والآلام والمظالم والمعاناة بإمداد غيبي وإسناد إلهي، ترد فيه مظالم الأفراد والشعوب والأمم، وتعاد الحقوق المسلوبة إلى أصحابها، وتعم السعادة والرفاه جميع بني البشر.

٤- الإيمان بـ" الخلاص الإنقاذي " والإيمان بـ" قائم القيامة أو المهدي المنتظر " عقيدة راسخة في الحضارات القديمة لجميع الأمم والشعوب وفي جميع الديانات والمذاهب.

٥- لا بد من تهيئة البشرية جميعا للخلاص تربويا ونفسيا واجتماعيا وفكريا وحركية وغيرها، ولا بد من استعداد الناس لتقبل العدالة بشموليتها ومستلزماتها، ولا بد من تنمية الفهم والبصيرة عند الناس ليكونوا من أنصار الإمام المهدي عليه السلام ومريديه فيقيموا الحق عن وعي وعقيدة.

٦- لابد من العمل بجميع الوسائل الممكنة والآليات المتاحة في عصرنا لترسيخ الإيمان بـ " وراثة الصالحين " للأرض، وبـ " إمامة المستضعفين المؤمنين "، و بأن " العاقبة للمتقين " في نفوس بني البشر جميعا في أرجاء المعمورة.

التوصية:

وختاما أضع توصيتي أمام أنظار المؤسسات التعليمية في تبني مشروع التعريف بالخلاص الإنقاذي والتصدي لمحاولات تزييفه بآليات منها المؤتمرات العلمية التخصصية والندوات الفكرية والحلقات النقاشية والمهرجانات الثقافية لإنتاج معرفة مهدوية صحيحة كما أرادها النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

هوامش البحث ومصادره

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

(١) ينظر: قيس ناصر راهي / نهاية التاريخ (دراسة تحليلية نقدية للمفهوم وحضوره المعاصر)، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الأولى، (كربلاء المقدسة، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م): ص٢٠.

(٢) ينظر: النجار: جميل موسى / فلسفة التاريخ.. مباحث نظرية، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، (بغداد، ٢٠٠٧ م): ص١٣٥.

(٣) ينظر: قيس ناصر راهي / نهاية التاريخ: ص٢٢.

(٤) ينظر: فالح مهدي / البحث عن منقذ، الناشر: دار ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٩٨١ م): ص٥.

(٥) ينظر: الشوكي: السيد محمد / آخر الدول.. دراسة في الدولة العالمية للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، الناشر: مؤسسة جلال الدين، الطبعة الأولى، (قم، ١٤٢٩ هـ): ص٢٨ وما بعدها، و: ص٣٢ وما بعدها.

(٦) ينظر: الآصفي: آية الله محمد مهدي / الانتظار الموجه، الناشر: مجمع أهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، (النجف الأشرف، ٢٠١٠ م): ص٢٣.

(٧) ينظر: القبانجي: السيد محمد السيد حسن / ثلاثية المعرفة المهدوية، تقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، (النجف الأشرف، ١٤٢٨ هـ): ص٢٤.

(٨) ينظر: مهدي خليل جعفر / الإمام المهدي عليه السلام في الأديان، الناشر: دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م): ص٧.

(٩) ينظر: الدكتور مصطفى غالب / الإمامة وقائم القيامة، الناشر: مكتبة الهلال، (بيروت، ١٩٨١ م): ص٢٧٠ وما بعدها.

(١٠) ينظر: محمد الناصر صدّيقي / فكرة المخلّص.. بحث في الفكر المهدوي، الناشر: جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بيروت، ٢٠١٢): ص١٧ وما بعدها.

(١١) ينظر: فالح مهدي / البحث عن منقذ: ص١١.

(١٢) ينظر: فؤاد محمد شبل / دور مصر في تكوين الحضارة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٧١): ص٦.

(١٣) ينظر: فالح مهدي / البحث عن منقذ: ص٤٦.

(١٤)ينظر: محمد الناصر صدّيقي / فكرة المخلّص: ص٢٠ ـ ٢٧.

(١٥) ينظر: سليمان مظهر / قصة العقائد بين السماء والأرض، الناشر: دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٢م): ص٢٨.

(١٦) ينظر: أحمد عبد المنصف محمود / في بلاد البقرة المقدسة، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت): ص٨٢.
(١٧) ينظر: فالح مهدي / البحث عن منقذ: ص٦٥.
(١٨) ينظر: الدكتور فؤاد حسنين علي / اليهودية واليهودية المسيحية: ص٤٠ ـ ٤١.
(١٩)ينظر: محمد الناصر صدّيقي / فكرة المخلّص: ص٢٢.
(٢٠) ينظر: فالح مهدي / البحث عن منقذ: ص٦.
(٢١) ينظر: مهدي خليل جعفر / الإمام المهدي عليه السلام في الأديان: ص٦٧ وما بعدها.
(٢٢) ينظر: الدكتور مصطفى غالب / الإمامة وقائم القيامة: ص٢٧١ وما بعدها.
(٢٣) ينظر: الصفار: الشيخ حسن موسى / الإمام المهدي عليه السلام أمل الشعوب، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى (بيروت، ١٩٧٩ م): ص٢٣ وما بعدها.
(٢٤) سفر المزامير: ٣٧ / ٧ ـ ١٠.
(٢٥) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص٣٦ ـ ٤٢.
(٢٦) أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) / سنن أبي داود، مراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م): كتاب المهدي ـ ص٦٠١.
(٢٧) ينظر: القرشي: الشيخ باقر شريف / حياة الإمام المنتظر المصلح الأعظم ن تحقيق: مهدي باقر القرشي، الناشر: دار جواد الأئمة عليهم السلام، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م): ص٣١ وما بعدها.
(٢٨) سبط ابن الجوزي: العلامة يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي الحنفي (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) / تذكرة الخواص في خصائص الأئمة عليهم السلام، الناشر: مكتبة نينوى الحديثة، (طهران، د.ت): ص٣٦٣.
(٢٩) ينظر: الأميني: محمد باقر / نرجس والدة الإمام المنتظر عليه السلام ، ترجمة: زهراء الموسوي، الناشر: دار النبلاء، الطبعة الأولى، (بيروت، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م): ص١٩ ـ ٢٤.
(٣٠) ينظر: القرشي / حياة الإمام المنتظر: ص٣٢٨ وما بعدها.
(٣١) ينظر: الشوكي / آخر الدول: ص١٣٧ وما بعدها.
(٣٢) ينظر: الشوكي / آخر الدول: ص١٠٠ وما بعدها.
(٣٣) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص١٥، و: ص٧٥.
(٣٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.
(٣٥) سورة القصص: ٥ ـ ٦.
(٣٦) سورة الأعراف: ١٢٨.
(٣٧) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص١٠ وما بعدها.

(٣٨) ينظر: الحائري: الشيخ أيوب / الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر، الناشر: مؤسسة السراج للطباعة والنشر والتحقيق، الطبعة الثالثة، (بيروت، ١٤٢٦ هـ): ص٦٦ وما بعدها.

(٣٩) ينظر: الموسوي: السيد علاء الدين / الإعداد الروحي لعصر الظهور، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في افمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، (النجف الأشرف، ١٤٢٧ هـ): ص٦٥ وما بعدها

(٤٠) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الإصفهاني (١٠٣٧ - ١١١١هـ / ١٦٢٧ - ١٦٩٩ م) / بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثانية ـ مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م: ٥٢ / ١٤٠).

(٤١) ينظر: الصفار / الإمام المهدي عليه السلام أمل الشعوب: ص٨٦ وما بعدها.

(٤٢) ينظر: الشوكي / آخر الدول: ص٢٣٠ وما بعدها.

(٤٣) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص٢٧ وما بعدها، و: ص٤١.

(٤٤) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص٣٨ وما بعدها.

(٤٥) المجلسي / بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٨.

(٤٦) ينظر: الآصفي / الانتظار الموجه: ص٤٨ وما بعدها.